(شرق عدن ...غرب الله) جديد الماغوط في ٧٠٠ صفحة

أسئلة الوجع في هذه البيداء العربية المظلمة

دمشق . ابراهيم حاج عبدي

حين خرجت نسخ كتابه الجديد "شرق عدن ... غرب الله" من المطابع ، اتصل محمد الماغوط مرارا بالدار الناشرة (المدى) لإرسال النسخ إليه ، ولكوني أعمل في هذه الدار ، ولغياب العامل المكلف بهذه المسائل ، ونزولا عند إلحاحه ، خطرت لي فكرة أن أقوم بإيصال النسخ إليه ، لأرصد سعادته بوليده الجديد ، وأمضي في صحبته بعض الوقت طالما يبخل الماغوط على الصحافيين والإعلاميين بالحوارات ، فها هي الفرصة سانحة ، فلماذا لا استغلها؟؟

وضعت النسخ الخمسين المتفق عليها مع الدار في سيارة أجرة وتوجهت إلى منزل الشاعر الكبير في حي المزرعة بدمشق، ضغطت جرس الباب ففتح لي ابن شقيقته الطبيب المقيم عنده والمكلف برعايته، وما إن أخذ النسخ من يدي حتى دعاني إلى الصالون حيث يجلس الماغوط، دخلت بوجل فوجدت ساحر الكلمات شيخا مسنا يتربع كملك بلا تاج على أريكة زرقاء، في جو عابق بالدخان، وسط كآبة توحي بالعزلة والأمجاد الأدبية الماضية. صافحته بحرارة، وغمغم هو بدوره، مرحبا بي، بصوته المتحشرج الخشن الذي يحمل شقاء السنوات السبعين، وبابتسامة حيية، باهتة ارتسمت على وجهه المتعب المحتفظ بملامح حادة حفرت فيها قساوة الأيام أخاديد لم تستطع إخفاء أصولها البدوية القادمة من بلدة السلمية الواقعة على تخوم الصحراء، حيث ولد العام ١٩٣٤ ,

تذكرت لدى رؤيته في هذه الحال ما قالته فيه زوجته الراحلة سنية صالح: "مأساة محمد الماغوط انه ولد في غرفة مسدلة الستائر اسمها الشرق الأوسط، ومنذ مجموعته الأولى (حزن في ضوء القمر) وهو يحاول إيجاد بعض الكوى أو توسيع ما بين قضبان النوافذ ليرى العالم ويتنسم بعض الحرية".

هذا التوق إلى الحرية هو الذي حدد مسار الكتابة لدى الماغوط، وقاده إلى الاحتجاج و التمرد، وهو الآن يجسد هذا الاحتجاج عبر المنفى المنزلي الاختياري الذي فرضه على نفسه، بسبب صحته. هو يعيش الآن في شقة مسدلة الستائر، السيجارة لا تفارق أنامله المصفرة، وكأس الشراب(الويسكي) رفيق وحدته. على الطاولة أمامه صحن من الحمص، وبعض الأناناس المشروح، وعلب منوعة من الأدوية، مع مسجلة ينبعث منها، بلا توقف، صوت فيروز الشجي المليء بالحنين إلى أمجاد الشباب والنضارة، وعلى الجدار المقابل لوحات تشكيلية مهداة إليه من أصدقاء بعضها عبارة عن بورتريهات له، وأيضا بورتريهات لزوجته سنية صالح، وبورتريه لجمال عبد الناصر،وأخرى لكمال خير بك، وبتقنية الحرق على الخشب ثمة صورة للفنانة الراحلة سعاد حسني.

في هذه المملكة المتشكلة من اللون، والموسيقى، والدخان يمضي صاحب (الفرح ليس مهنتي) أيامه: "وساعات نومي بعدد كوابيسي/ وكوابيسي بعدد وسائدي، واتساع بلادي/ وبلادي باتساع أرصفتي، ودفاتري"، وإذ سألته عن قراءاته في هذه الأيام تنهد بمرارة كمن يريد القول بان العمر لم يعد يسعفه على القراءة: "اقتصر على قراءة الصحف والدوريات"، وبتحريض من أحد ضيوفه راح الماغوط يشرح، باختصار، علاقته بالكتابة: "قد يلجأ المرء إلى التحايل أو المراوغة في تصرفاته، وممارساته، وأحاديثه الشفوية، أما فيما يتعلق بالكتابة فلم أندم على حرف وضعت توقيعي تحته، ولم أخضع لأي سلطة سوى سلطة الحقيقة، فقد أساوم على كل شيء أما المساومة على الكتابة فلم أجربها ولا أعرفها، كل ما كتبته كانت قناعات راسخة، ولم اسمح لأحد أن يملي علي كلمة".

هذا المبدأ الصارم في الكتابة، والذي يصل إلى حدود القدسية هو الذي جعل من الماغوط سيدا للكلمات، إذ قدم خلال نصف قرن. هو عمر تجربته الأدبية. نتاجا إبداعيا متفردا، غير آبه بالنظريات النقدية، والتنظير، والقوالب. هو يسفح أشواقه، وأحزانه، وهواجسه، ومخاوفه، وقناعاته، وخيباته على الورق، ولا يهمه بعد ذلك تحت أي بند تندرج هذه الكتابة، كما أنه لم يتقيد يوما بشكل أدبي محدد أو بقالب فني معين، ولم تشغله هذه المسألة، هو فقط يسعى إلى كتابة ما يشعر به، ويحسه بصدق. يقول في أحد حواراته القديمة: "لم أجد نفسي في خيمة التنظيرات. أردت أن أبقى وفيا لتجربتي كما هي، ووفيا لأسلوبي الذي كتبت به قصائدي الأولى، إذ لم اكن مهتما بالشكل بل بالإحساس القادم من تجربة ما، ومعاناة ما، فليس في شعري رموز أو أسطورة، ولا اعتمد على تراث بعينه، فقط اعتمد على الصدق والبساطة". فاستطاع الماغوط بهذا الصدق وتلك البساطة أن يرسم عالما ملونا قوامه الورق، والمداد وجبل من الأحزان التي تثقل روحه المحلقة، أبدا، في فضاء الشعر رفيقه الوحيد في هذي الحياة، فضلا عن قراء مجهولين يتلهفون إلى جديده بشغف، بل ونصبوه ملكا متوجا على عرش الكتابة "السهلة الممتنعة" القائمة على المفارقة، والتي تطرح أسئلة أكثر من تقديم الأجوبة، فكان الماغوط صاحب مدرسة أدبية لطالما حاول الكثيرون تقليدها واقتفاء أثرها دون جدوى.

بهذه الروح المتوثبة الرافضة لأي مصالحة مع واقع مرير يمضي الماغوط في الكتابة ليقدم نصوصا جديدة تحت مسمى فانتازي "شرق عدن ...غرب الله" مؤكدا بأن العنوان جاء عفويا ولا يحمل أي دلالة دينية، وليس القصد منه الإثارة بقدر ما ان العنوان ينتمي إلى مدرسة الماغوط القائمة على المفارقة المرة، والتراجيديا إذ يحاول الماغوط في هذه النصوص كما في نصوصه الأخرى بناء عالم جميل، بالكلمة، نقيض لما هو قائم. عالم خال من الشرور، والأوبئة، والأمراض، والتخلف، والقمع، والاضطهاد، والسجون، وأقبية التعذيب، ومليء بالزهور، والفراشات، والحب وكأنه، في هذا المنحى، يحاول تجسيد ما قاله الفيلسوف الألماني هايدجر: "البديل الخلاق للعالم الحقيقي المشوش، هو مملكة الشعر والروح".

لا يمل الماغوط من الشكوى، ولا يتوانى عن فضح الجوانب الحرجة في المشهد العربي المعاصر على الصعيد السياسي، والثقافي، والأخلاقي، والحضاري، والاجتماعي... يصغي إلى أصوات المهمشين، والمعذبين، والمنسيين... يواسيهم بكلمات من رذاذ المطر، ويصنع لهم تيجانا قوامها القصيدة، لكنه ورغم هذا الصراخ الطويل، والشكوى المزمنة، والدعوات المتكررة إلى الحرية والفرح، يظل يعيش في بيداء هذا الواقع العربي الأليم، فيطلق صيحة موجعة: "بأقلام من المطر أكتب/ وبعيون من المطر أقرأ/وبقطارات من المطر أسافر/وأوزع هدايا وقبلات من المطر/وأقيم تحت المطر/ولم أر الربيع إلا في المتاحف وعلى طوابع البريد...

ورغم أن الماغوط عاش تجربة السجن لفترة قصيرة في الخمسينيات، لكن هذه التجربة طغت على إبداعه، وانطبعت على روحه و نبرته كوشم أبدي لا يمحى: "كان السجن المبكر هو بداية صحوة الشباب، وبدلا من أن أرى السماء رأيت الحذاء...وهذا ما اثر على بقية حياتي" يقول الماغوط في حوار سابق معه، ويضيف: "والمثير أنني أنا الذي لم اكمل تعليمي قد تعلمت كثيرا من السجن والسوط العربي بيد السجان. السجن والسوط كانا معلمي الأول، وجامعة العذاب الأبدية التي تخرجت منها إنسانا معذبا خائفا إلى الأبد وصار الخوف يسكنني وهرب مني الأمان لآخر لحظة من عمري. الآن حين يرن جرس الباب اشعر بالرعب وحين يرن الهاتف أتوجس خوفا...معظم الأشياء التي احبها أو اشتهيها، وأحلم بها رأيتها من وراء القضبان: المرأة ،الحرية، الأفق"، وهو لذلك لا يكتب بل ينزف!! كما يعبر.

هذه هي الأشياء التي يحتفي بها الماغوط في نصوصه الجديدة، مثلما احتفى بها من قبل، محذرا النقاد والشعراء والجلادين من الغرور قائلا لهم: "تذكروا منظر صدام حسين لحظة اعتقاله أمام العالم أجمع"، ووسط هذا المستقبل العربي المظلم والتعتيم الإعلامي، والثقافي، والسياسي "ومع ذلك لا يتحدثون في هذه الأيام سوى عن الشفافية!!"، ويسخر الماغوط من شعار الصمود والتصدي إذ يجد له تأويلا ساخرا:الصمود والتصدي: صمود على الكراسي/والتصدي لكل من يقترب منها".

تقول فاطمة النظامي في مقدمة هذه النصوص: "يمتاز أسلوب الماغوط بالتركيز والتكثيف، وبإبداع عفوي يفوق حدود النقد، ويعتمد لغة الصورة، لأن الطفل المدهش القابع في أعماقه يريد أن يخاطب الطفل القابع في أعماق كل إنسان، وإذا ما كان رامبو قد حلم بعالم ينطق كل الناس فيه شعرا، فإن الماغوط قد استطاع أن يترجم حلمه بأن يكون بمقدور كل إنسان أن يفهم ، ويحس، ويتذوق الشعر، خاصة إذا ما تنسم فيه عبير الحرية والحب والعدالة والسلام"، وها هو بعد أن رسم هذا العالم المشتهى الذي لم يتجسد قط إلا في الأحلام، يجد نفسه وحيدا، حزينا، مهزوما: "كل ما هنالك أنني شمعة عجوز أضاءت كثيرا/ولم يبق لها إلا الرماد والذكريات".

"شرق عدن...غرب الله" هي نصوص تحمل نكهة الماغوط، وتتلون بمفارقاته الموجعة، وهي تجمع بين الشعر، والمقالة وتمتاز بتلك النبرة التهكمية الساخرة، والنزعة الإنسانية، والنقد اللاذع، الذي وسم كتابات الماغوط منذ كتابه "غرفة بملايين الجدران" مرورا بـ "العصفور الأحدب" و "الأرجوحة"و" الفرح ليس مهنتي" و "خارج السرب"و "سياف الزهور" و "سأخون وطني" وصولا إلى هذه النصوص التي تندد بالألم الإنساني، وتسعى إلى الخروج من عتمة الأيام التي تحيط بها بلطة أيمن الظاهري، وفتاوى عمه بن لادن، وغازات علي الكيماوي، والمطرقة الشيعية، والسندان الأموي، والساطور الجزائري، ورهائن أبي سياف، والسجون العربية... والماغوط يبحث وسط هذا الخراب عن صباحات مشرقة لا تبدو قريبة من شاعر يأبى الابتسام في وجه الظلم، ولا يروضه سوى الموت.

هل تأخر الحلم ؟ هل تأخر العراق؟

فاضل السلطاني

لم أردد هذا الصباح، الواحد والثلاثين من كانون الثاني، لازمتي اليومية: إنه مجرد صباح آخر، لأنه لم يكن مجرد صباح آخر، حتى أنا لم أعد أنا.ولكي أثبت لنفسي أولاً ذلك،هرعت إلى أقرب كشك للصحف، لأرى وجهي الجديد:كان يحتل الصفحة الاولى في كل الصحف البريطانية، كنت أراه مطلاً مشرقاً في عين تلك العراقية التي غطت كامل وجهها ماعدا تلك العين الساحرة المليئة بأغلى دمعة في العالم، دمعة الحرية التي إحتبست في محاجرها طويلاً، رافعة إصبعاً تحمل أنفس صبغة يمكن أن تحملها إصبع بشرية: صبغة الحرية.لم أترك مكتبة في طريقي، دون أن أتوقف أمام واجهات النوافذ متطلعاً في وجه أخر صبوح إحتل الصفحات الاولى هو أيضاً، كأنني أريد أن أصدق نفسي بمزيد من الأدلة الملموسة!كنت أريد أن أصرخ بالعابرين:إنني أنتمي إلى تلك الدمعة الحرى، وإلى ذلك الإصبع النحيل كالقصب،وإلى هذا الوجه الصبوح الذي إحتل وجهي من دون أن أستعد له.

هممت فعلاً أن أمد الجريدة الإنجليزية إلى الفتاة الغريبة الجالسة قبالتي، الساهمة فيما لا أدري: إنظري، إلى هذه الفتاة العراقية، وأنا عراقي أيضاً! وإقرئي، في يسار الصفحة الخامسة من صحيفة" الغارديان"، قصة سمير حسن الذي قطع الإرهابيون ساقه ،ومع ذلك كانت قوة الحرية في دمه أقوى من أية قوة في العالم، مسلحة أو غير مسلحة.وعلى الجانب الأيسر، قصة المرأة الكردية الإسطورية صبرية شريف محمد، أم تريدينني أن أروي قصتها على عجل؟ لقد إستعدت ياسيدتي منذ الفجر لليوم الذي تحلم به منذ عقود.بعد دقائق، طلبت من إبنها الأصغر يوسف، البالغ ستة عشر عاماً، أن يملأ لها جرة الماء من مضخة الحي المشتركة.لم يعد. قتلته قذيفة هاون جبان في كركوك.غسلت صبرية جسد صغيرها، ولفته بالأبيض، وهيأته للدفن في المقبرة القريبة.ثم سارت عشرات الأقدام بإتجاه مركز الإقتراع، مخضلة التراب بدمعتها الحارقة، وعبرت في كلمتين عما كان يعتمل في دواخل تلك الملايين التي زحفت إلى صناديق الإقتراع تحت القنابل في ملحمة لن ينساها التاريخ، وجعلت كل العالم يعيد حساباته أمام تلك القوة العراقية الكامنة التي ظنها الكثير واهماً أنها ماتت إلى الأبد. قالت صبرية:" تصويتي لن يعيد لي إبني، ولكنه سيمنع صدام حسين من العودة ثانية." كأن العراق إستجمع، في لحظة واحدة، كل عذاباته،ومقابره الجماعية، وآلافه الذين ماتوا بلا شواهد، وسجونه التي بمساحة العالم،وشهداءه ومنفييه الذين بحجم دولة،ثم سار في الطريق التي لن تعود.قري عيناً يا صبرية، يا من تحملين إسم إختي التي لم تكن محظوظة مثلك ، فقد ماتت قبل أن ترى الصنم يتهاوى، وقبل أن يحمل إصبعها البقعة البنفسجية المقدسة، حالها حال أبي وأمي، والملايين من شهداء القهر.

تذكرتهم جميعاً في هذا الصباح المبارك، وخاصة أحدثهم عهداً: العراقيون الستة والثلاثون، شهداء الخطوة الأولى في الطريق التي لن تعود، والذين أتمنى أن ترتفع أنصابهم في المكان نفسه الذي كان يحتله الصنم القبيح، فهم قمة العراق الذي لن تعلوه بعد الآن قمة.

هل عرفت الآن ياسيدتي التي نسيتها،لماذا أنا فخور بالعراق،الذي ظل وحيداً طويلاً،كما لم أكن مرة من قبل، وبالعراقيين، الذين خذلهم "أشقاؤهم"،ولا يزالون، وبعض أهلهم، ولا يزال؟

هل أدركت الآن لماذا أنا معتد بنفسي، كما لم أكن يوماً ما من قبل؟ ولماذا أنا فرح إلى درجة لم أعد قادراً على إحتمالها، فأخذت أوزع ما يفيض منها على الآخرين؟

قبل تسعة وعشرين عاماً، سألتني زميلة، في مقابلة صحفية،لم تنشربالطبع،عن أحلامي، فقلت لها: أحلم بشيء واحد: صندوق إقتراع. وها هو العراق يتحول الآن كله إلى صندوق إقتراع.

هل تأخر الحلم كثيراً؟ فليكن.

هل تأخر العراق كثيراً؟ فليكن.

المحافظة على المناطق الأثرية

عادل بدر الرياحي

يتميز قطرنا العزيز بتاريخ حضاري شامخ لكونه يضم العديد من المواقع والمناطق الأثرية والحافلة بتاريخ خالد يعكس الحضارات التي نشأت وترعرت على أرض الرافدين وتحتل مكانة تاريخية عالمياً من خلال تراثها الحضاري المتميز، ولذلك تبرز أهمية تلك المواقع والضرورة الملحة اللازمة لتخليدها حضارياً من خلال المحافظة على سلامة تلك المناطق من أجل أن تبقى تلك المواقع شخوصاً ناطقة عن التراث الحضاري الخالد للحضارات الإنسانية التي ما زال الكثير منها غامضاً عن الانجازات التاريخية التي تمخضت عن تلك الحضارات التاريخية. إن موضوع المحافظة على سلامة المناطق الأثرية في عراقنا الجديد لا تقع فقط على عاتق الهيئة العامة للآثار والتراث ولكنها مسؤولية كبيرة تقع على عاتق الجميع بدون استثناء لأن هذه المناطق الأثرية تشكل تاريخ حضارات الأجداد العريقة التي نفخر جميعاً بإنجازاتها التاريخية الرائعة.

وبهدف الإسهام المتواضع مع مؤسسات الدولة المعنية بهذا التاريخ الحضاري الخالد وضمان سلامة جميع المناطق الأثرية في عراقنا الجديد فلابد من اعتماد جملة من المقترحات الهادفة التالية:

- ضرورة قيام خبراء الآثار بتحديد جميع المناطق الأثرية بالقطر وإعداد خريطة مفصلة بها وتأشير مواقعها على خريطة العراق الجديد على أن تتم مراعاة الدقة والموضوعية العلمية في هذا المجال.
- المباشرة بتسييج تلك المناطق بالأسيجة الحافظة والتي تمنع حدوث أية تجاوزات على تلك المناطق وضمان المحافظة على هويتها التاريخية ومنع الآثار السلبية التي تلحق بتلك المناطق نتيجة تلك التجاوزات.
- رفع جميع التجاوزات الحاصلة على المناطق الأثرية واعتماد الإجراءات القانونية بهذا المجال وعدم اللجوء إلى أسلوب المجاملة والمحاباة في هذا الجانب لكونه يتعلق بأرث تاريخي عام.
- العمل على تطوير المناطق الأثرية وإنعاش الحركة السياحية لتلك المناطق من خلال الترويج لها واستقطاب السياح والزوار لها وبما يضمن تحقيق عوائد مالية لخزينة هيئة الآثار والتراث وتحسين إمكانياتها وتمكينها من إجراء تطوير حضاري مستمر لتلك المناطق.
- ضرورة تسجيل جميع المناطق الأثرية باسم وزارة الثقافة / هيئة الآثار والتراث باعتبارها الجهة المتخصصة والوحيدة المسؤولة عن إدارة تلك المناطق وسلامتها وتطويرها.
- إجراء عمليات الصيانة المستمرة على معالم المناطق الأثرية ومنع تأثيرات الطقس عليها والعمل على إظهار تلك المناطق بالمظهر الجمالي اللائق بها والذي ينسجم ومكانتها التاريخية والتنسيق مع هيئات الآثار العالمية في مجال العمل على إجراء التطوير الشامل والمستمر لتلك المناطق الأثرية باعتباره ضرورة ملحة لتعزيز المعالم التراثية والحضارية بالقطر.

أحمد مختار في دبي: وأسطوانة جديدة للعراق

انتهى المؤلف الموسيقي وعازف العود المنفرد احمد مختار من تسجيل اسطوانته الجديدة التي تضمنت مجموعة من مؤلفاته الموسيقية للعود بمرافقة آلات أخرى ، حيث تم تسجيل الاسطوانة في ستوديوها دبي في دولة الامارات العربية المتحدة، واشترك مع مختار فنانون عراقيون كبار في عالم الموسيقى العربية منهم حسن فالح على الة القانون الحاصل على جائزة افضل عازف قانون في الوطن العربي من مجمع الموسيقى العربية وعلاء مجيد على آلة الناي وهو معاون عميد معهد الدراسات الموسيقية العراقي واستاذ الاله نفسها، ووسيم فارس على الجوزة العراقية وهو استاذ آلة العود والجوزة في المدرسة الانجليزية في دبي وخريج معاهد العراق وتتلمذ على يد شعوبي ابراهيم وأما العزف على الآلات الايقاعية والاشراف الموسيقي فكان للملحن والموزع الموسيقي شاكر حسن خريج المعاهد العراقية وصاحب الحان شهيرة لمطربين عرب وعراقيين. من القطع التي ألفها مختار وتضمنتها الاسطوانة الجديدة - طفولة ورقصة كردية وعراقيات وطريق بغداد وفنتازيا العود وريح الجنوب وحوار بين القانون والعود ومدارات صوفية. ومؤلفات أخرى حيث تضمنت الأسطوانة أكثر من ١٣ قطعة موسيقية.

من جانب أخر ذكرت كيرن ترويمان مديرة شركة اي أر سي العالمية التي أنتجت الاسطوانة قائله: نظرا للنجاح الكبير الذي حققته اسطوانة أيقاعات بغداد الاخيرة للموسيقار احمد مختار التي بيعت في اكثر من ٥١ بلداً في العالم واكثر من خمس دول في الشرق الاوسط ،طلبنا من مختار ان يقدم لنا مؤلفاته الجديدة كما أقترح أعداد قطعة من التراث الغنائي العراقي ، ونحن واثقون من نجاحه المقبل لانه صادق ويعتمد على طاقاته الموسيقية وموهبته في العزف والتاليف ، لذا اقدمنا على ابرام عقد دئم معه.

تضمن وجود مختار في دولة الامارت العربية بعض المقابلات الأعلامية والتلفزيونية.

كما قدم مختار بعض النشاطات الثقافية الاخرى واتفق مع بعض المراكز الثقافية لتقديم امسيات ومحاضرات خلال العام الحالي.